



على الرغم من الأبهة الإعلامية التي ظهر فيها خبر زيارة بشار الأسد إلى روسيا، فإن الزيارة لم تعكس حفاوة روسية برئيس؛ بل كان المشهد أقرب إلى مأتم، وبقي التجهم بادياً على الوجوه الروسية والسورية طوال الزيارة. ظهر بشار الأسد "عارياً" من مراقيه ومستشاريه، وغاب عن المشهد، بشكل مقصود، بروتوكول السجادة الحمراء، وحرس الشرف، والآناشيد الوطنية.

تعامل بوتين مع بشار الأسد تعامله مع "وكيل"، وليس مع رئيس، أما الحديث الذي تم تبادله فيمكن تخمينه من التصريحات الروسية التي أعقبت اللقاء، لكن التركيز السوري كان على الشكل فقط.

وأبرز الإعلام الرسمي صور بشار الأسد مع فلاديمير بوتين، بما يوحي أن "الرئيس" قد أسرى على ظهر براق من دمشق إلى موسكو، وعاد في اليوم نفسه، ليس لمطالعة معالم سانت بطرسبورغ وبحر البلطيق. ولكن، ليحظى بصورة تذكارية تجمعه مع بوتين.

الزيارة لم تقرّرها الدبلوماسية السورية، وربما لم يكن في حسبانها حدث من هذا النوع، فقد تقدّم وجودها، أخيراً، وانكمش حتى أصبح، في ظل الوجود الإيراني الكثيف ثم الروسي المجلجل، مجرد إجراء بiroقراطي. جاءت الزيارة في السياق الذي رسمته موسكو لتبرير وجودها العسكري في سوريا، وترسيخه، والتقطت الصور التذكارية هناك للاستهلاك الإعلامي، وإرسال رسالة من موسكو أن "الرئيس" الذي يسكن في قصر الشعب يبارك التدخل العسكري الروسي في بلاده.

لا يتعلّق الأمر بالوفاء، أو بعشق شخصي للأسد، لكنه موقف رسمي يفضي إلى الموافقة على كل ما تفعله روسيا في سماء سوريا حالياً، وربما لاحقاً، على الأرض، وكل ما قد ينبع عن هذا الوجود من مضاعفات، فليس شخص الرئيس مهمّا بقدر

موقعه الذي يتيح رسمياً للروس القيام بالخطوة التالية.

جو الأمان الذي وفرته أميركا ومعها أوروبا الغارقة في أزمة اللاجئين أمنت لبوتين هامشاً واسعاً للتحرك، حتى أرسل آخر ما أنتجته شركة سوخوي إلى السماء السورية.

وببناء على الهاشم نفسه، عُقد مؤتمر فيينا الذي تحول إلى عملية شد وجذب حول مصير "الرئيس"، وانتهى إلى النقطة التي بدأ منها متمسكاً بالموافق المعروفة، السعودية لا تقبل بالأسد، وروسيا لا تقبل من دونه، وأميركا التي لفظته سابقاً، على استعداد لتبتلئه من جديد مع جرعة "مياه غازية" مناسبة.

لكن، في نهاية المؤتمر، حفقت روسيا نقطة دبلوماسية، باعتبارها تؤيد الحل السلمي عبر المؤتمرات والمحادثات. وذهبت إلى أبعد من ذلك أن دعت أطرافاً جديدة للانضمام إلى المحادثات التالية، طبعاً من دون أن تتناقص طلبات السوخوي الروسي الكثيفة، ومن دون أن يتوقف مفهومها العسكري عن تعداد الأهداف اليومية التي قُصِّفت.

فيما تبدو روسيا مصرة على ضرورة تسوية الحرب السورية بوسيلة سلمية تفاوضية، تبدو أكثر تشبثاً بأمرٍ لن تتوقف الحرب بدونه، وهو "مصير الرئيس" الذي أصبح عنواناً للتفاوض، لم يستثنِ أي مندوب من مندوبي الدول التي حضرت مؤتمر فيينا، فأصبح فاتحة لازمة عند الحديث عن سوريا في ربط ظالم لمصير البلد بمصير هذا الرجل الذي صار بندأً رئيسياً من بنود أي خطة للحل، وكان على سوريا أن تعاني، حتى اللحظات الأخيرة، من الاسم الذي أُلصقَ بها عائلة الأسد. من المؤكد أن الحلقات القادمة من جنيف ستتركز على البند نفسه، وخصوصاً إذا نجحت روسيا في إضافة إيران ومصر إلى المحادثات، فدول كثيرة ترغب، أو لا تشعر بغضاضة، لو استبدلت اسم سوريا باسم الأسد أو العكس، في دمج حرص الإعلام السوري منذ زمن الأسد الألب على التركيز عليه.

يتکئ المساندون للأسد على المفهوم نفسه، مسوقين فكرة تقول، إنه في اللحظة التي يختفي فيها الأسد تختفي سوريا، وما زال هذا المفهوم طافياً، مثل جثة على السطح، حتى بعد أن أصبحت مدن سوريا كلها أكوااماً من الحطام في عهد الأسد، وبسببيه.

العربي الجديد

المصادر: